كلمة ومرأة وبرقع

٢- لنتحاجج

بالأمس كان العتاب؛

+ لماذا تهرب منى وأنا أبغى تغييرك بوصيتى ؟

- أخطأت سامحنى

+ أخرج المرآة من خزانة الجدود،

انفض عنها تراب الكسل

فهى ليست بميراث تحتفظ به وتخشى لمسه

- سأفعل ياسيدى.

سأفعل بأكثر من حرصى على إرضاء الناس بوجه خارجى أصلحته مرآتى العالمية.

+ أفعل ذلك وسأفرحك. وثمة أمر آخر :

أن تنظر وجه خلقتك فى مرآتى وتمضى بلا تغيير تجريه على وجهك، هذا يعنى عدة بدائل!

- ماهى ياربى ؟ أكشف لى نورك أكثر

+ إما إنك كاملٌ، وقد تطابقت صورة وجهك وقلبك مع وجهى وقلبى؛ الأصل الذى تعلنه وصاياى،
وأصبحت مثلى، تفعل إرادتى بلا عناء.
أخى المحبوب .. أرجوك أجب بنعم أو لا ....
أو أنك تخشى المواجهة،
ولا تمتلك جرأة تحزم بها أمورك فى صرامة مع نفسك النائمة، حتى بعدما تفضحك كلماتى.
بماذا تجاوب يا أخى على هذا البديل، نعم أم لا ؟
أو أن عينك مطموسة لا ترى الحقيقة بل تهرب منها.
مثل مريض بالرمد يؤذيه النور فيفضل أن يقبع فى حجرة مظلمة.
أخى المحبوب .. هل تقول للرب: هو أنا ذاك المريض يا طبيب العيون ؟
أو أنك تلبس قناعًا أو تضع برقعًا صنعته لنفسك من خيال أو وهم، أو تصديقك لكلام الناس وشغفك بالمديح منهم يامسكين.
خدعوك يامحبوبى الصغير.
ماذا تقول يا أخى فى ذلك ؟
والبديل الخامس، أصارحك به فى أسى:
أن تكون المرآة نفسها ليست نظيفة وليست صالحة.
هل توافق يا أخى ؟
الأخ المحبوب .. الأخت المباركة ... الإجابة على هذه البدائل الخمسة هى التى ستوجه رؤيتك لذاتك بعد الآن. لذلك فهى

تتطلب منك الأمانة الكاملة. سأصلى أنا عن نفسى وأرد عليها وإن وجدت نفسك مثلى صل معى:

- سيدى يسوع المحبوب جدًا

أمجدك وأعظم إسمك وأشكرك على مرآة هذه الخلوة

التى جعلتنى أشعر بصداقة حلوة معك

وحنوك العجيب يشوقنى للاقتراب إليك أكثر

قلت لى نتحاجج .. وها أنا أرد منكسرًا:

الأول ياسيدى؛ كونى كاملاً .. وهم وسراب.

فأنا مازلت ناقصاً مهما بلغت من كمال، إن كان فىّ كمال فحالى يفضح هبوطى ونقصانى.

والخامس؛ أن تكون المرآة نفسها غير نظيفة وليست صالحة،إن قلت به، فهو تجاسر وتجديف ونقص فى الأدب، فكلماتك صالحة وعادلة ونقية كل النقاوة.

حاشا لك ياسيدى ولمرآتك من ذلك.

- انما العيب - كل العيب - فىّ أنا،

صاحب العيون المطموسة، التى أعمتها ظلمة الخطية وملذاتها، والمناظر التى لوثت بها تصورات قلبى.

وأنا: صاحب الأقنعة المخادع،

البرقع على وجهى وعقلى وقلبى

أو قل: أنا نفسى بجملتى قناع يخفى شخصًا غير من يعرفنى به الناس.

إنما أنت تعرفه جيدًا، شخصًا أنانيًا محبًا لذاته،

حويت فى نفسى كل العيوب وأتظاهر بأنى بلا عيب!
ها هى مرآتك تفضحنى، تحرق أقنعتى،
لذلك أبادر بالهرب من أمامها،
خاشيًا المواجهة التى تفضح كل ذلك الرياء وكل تلك المساوئ.

أخى .. أختى .. ها هو ربنا يسوع المسيح ربنا يرد :
+ إفتح إنجيلك يا محبوب
وأنظر ماقلته وكتبه يوحنا تلميذى (يو ٣:١٩-٢١)
وأكتبه أمامك، وليتك تكتبه فى قلبك أيضًا
وَهذِهِ هِيَ الدَّيْنُونَةُ :إِنَّ النُّورَ قَدْ جَاءَ إِلَى الْعَالَمِ، وَأَحَبَّ النَّاسُ الظُّلْمَةَ أَكْثَرَ مِنَ النُّورِ، لأَنَّ أَعْمَالَهُمْ كَانَتْ شِرِّيرَةً لأَنَّ كُلَّ مَنْ يَعْمَلُ السَّيِّآتِ يُبْغِضُ النُّورَ، وَلاَ يَأْتِي إِلَى النُّورِ لِئَلاَّ تُوَبَّخَ أَعْمَالُهُ .وَأَمَّا مَنْ يَفْعَلُ الْحَقَّ فَيُقْبِلُ إِلَى النُّورِ، لِكَيْ تَظْهَرَ أَعْمَالُهُ أَنَّهَا بِاللهِ مَعْمُولَةٌ«

هل رأيت يا أخى الحبيب عاقبة الهروب ؟ الهروب من مواجهة الوصية وجهًا لوجه، هو سبب مباشر يوقعك فى مواجهة أصعب، مواجهة دينونة رهيبة لا حل لها هناك فماذا تختار؟ هل تقبل المواجهة هنا، وهى بالتأكيد لمنفعتنا وتغييرنا، إذ تغطيها مراحم الله وستره.

أم تكرس الهروب فتدخل فى مواجهة قوامها العدل الإلهى الذى يجب أن يأخذ حقه كاملاً كما حذرنا الكتاب، متى وقفنا أمامه نحمل خطايانا وإهمالنا وهروبنا فنتعرى بالكامل من كل ستر؟ .. ياه ما أصعب ذلك.